

الخلافات في الاسلام

LES SCHISMES DANS L'ISLAM

تمهيد لدراسة الدين الاسلامي

تأليف : هنري لاووست Par Henri
LAOUST ط. بايو Payot باريس
سنة 1965. 5، 22 × 14 XII - 466 ص.
(المكتبة التاريخية).
تقديم : المنصف الشنوفي

ذاع صيتُ هنري لاووست Henri LAOUST ، أستاذ التفكير الإسلامي بالكوليج دي فرانس COLLÈGE de FRANCE منذ أن أخرج للناس أبحاثه عن الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية خاصة (حوالي سنة 1939) وعن مذهب الإمام أحمد بن تيمية وأتباعه عامة . واتسمت أبحاثه ، إلى جانب اعتمادها على منهج مركّز على « النّقد التاريخي » ، بروح علمية نزيهة لا تخلو من التحمّس لموضوع الدّراسة دون تورّط في التحيز أو ارتطام في الطائفية ، ممّا جعل هذا النّجم اللاّمع في الاستشراق الفرنسي يعمد إلى معالجة الإسلام « من الدّاخل » على حدّ تعبيره (1) ، سابرا أعمق أعماقه ومؤمنا أن لا سبيل

(1) الخلافات ... Les Schismes ، ص 6 (مقدمة)

لفهم الحضارة الإسلامية في جميع مظاهرها الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ما لم نرجع إلى الأصل الأصيل والمهيج الأول وهو الدين . فهو ، في نظره ، البداية والنهاية والسبب والغاية .

وكتابه هذا عن الخلافات في الإسلام استعراض وتحليل لتاريخ المذاهب والفرق الإسلامية منذ وفاة الرسول (صلعم) إلى أواسط القرن العشرين ، صدر فيه عن الحديث المأثور الذي افتتح به عبد القاهر البغدادي « الفرق بين الفرق » او الشهيرستاني « المِلل والنحل » وهو : « افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفرق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة » فهو إنْ وقفت عند ظواهره استمرار ومواصلة لمجهود هذين العَلَمَين البغدادي والشهرستاني وفضل المؤلف في هذا لا ينكر ، ولكن الكتاب يفضل غيره من الكتب التي تصنّف هذه الايّام في هذا الموضوع من قبيل مستشرقين وعرب بخصال أردنا التنويه بها والاشارة اليها .

فأنجع السبيل لِكُنْه الإسلام هي دراسته لا من زاوية مذهب أو فرقة — متغلبين كانا أم لا — بل دراسة خلافاته وتنوعه عبر التاريخ وإن بقي في حقيقته واحداً مَوْحِداً . لذلك ضرب المؤلف صفحاً عن هذا التقسيم السطحيّ وهو دراسة كلّ فرقة على حدة (أهل السنّة ، الخوارج ، المعتزلة ، الشيعة ، المعتزلة ، الصوفية الخ...) بل عمد إلى تتبع التدرّج التاريخي ملحاً على التكافل بين بعضها بعض في صدورهما عن منهل واحد : الإسلام . والمطالع للكتاب يلمس إلحاح المؤلف على هذا القصد وهو أن التكافل والتكامل والتماسك أخصّ خصائص الفرق الإسلامية فيما نشب بينها من خلاف وأنّ الإسلام بالتالي نظام دنيوي روحي في آن واحد ، ممّا جعل هذا التصنيف عن الخلافات في الإسلام لم يقع فيما وقع فيه أغلب المستشرقين المنكبين على دراسة الإسلام وهو جنوح إلى الفصل بين ما هو من اختصاص المؤرخ كدراسة

الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبين ما هو من اختصاص الفيلسوف ومؤرخ الآداب كدراسة العقائد والأنظمة .

كذلك حرص المؤلف في كتابه على أن يتجاوز هذا الرأي المتداول بين المستشرقين عموماً وهو أن الإسلام ازدهر تراثه العقائدي في عهد الامويين وأول عهد العباسيين ، تحت تأثير الهلينية ثم تبع ذلك ، منذ أن تغلب أهل السنة والجماعة في عهد المتوكل ، ركود وجمود وانحطاط إلى أن كانت حملة بونابرت على مصر فكانت النهضة الفكرية وكان الإصلاح الديني مع الزعم أن الفضل كل الفضل في ذلك للغرب . وتلافياً لهذه التجزئة الخاطئة ، اهتم المؤلف اهتماماً خاصاً مثلاً بعهد المماليك (656 — 1258/923 — 1517) وبالعهد العثماني وما اتصل به من حركات إلى يومنا هذا ، مما جعله يفرد لذلك قسماً هاماً من الكتاب (2) .

ونتيجة لهذه النظرة الشاملة للاختلاف والتعدد في الإسلام كانت خاتمة الكتاب (3) إحصاءً لمواطن الاختلاف والاتفاق في مسائل الإسلام الجوهرية كالأصول والتوحيد والنبوة والصحابة والخلافة والإمامة والتكفير ، مع إقرار المؤلف ، رغم عطفه الظاهر على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل ، « أن أهل السنة والجماعة لم يوفقوا إلى تحقيق جمع الأمة رغم حرصهم على ذلك » (4) .

ولن يفوتنا في الختام إبراز هدف المؤلف من كتابه في الخلافات في الإسلام وهي « الضرورة الأكيدة في عصر تكافل مطرد أن تتوطد علائق التفاهم والتآخي بين الديانات الكبرى والأسر الروحية التي تتركب منها » (5) ، معتبراً أن الإسلام لما انته رسالته ولا سبيل أن يجع لتدبر أمره من الانسكاب

(2) نفس المصدر ، ص : 251 — 370

(3) نفس المصدر ، ص : 383 — 461

(4) نفس المصدر ، ص : 458

(5) نفس المصدر ، ص : 5 (مقدمة)

على دراسة تنوّعه واختلافاته ، رغم وحدته الجوهرية . دراسة استقصاء وثبتت . ويختتم المؤلف بهذه الدعوة : « فالاسلام مدفوع الى (حوار) ليس فقط مع الواقع الجديد وما ينجم عنه من ملاسبات ولكن ايضا وبالخصوص مع العقائد والمثل التي تكثفها من كل جانب ، فبقدر ما هو محتاج الى تقنيين ومهندسين ، بقدر ما هو محتاج أيضا ، ان اراد ان يبقى قوة روحية لها وزنها في مستقبل الحضارة ، إلى مفكرين أصوليين ومؤرخين » (6) .

وهذا ما حمدا المؤلف على ان يحرص في كل صفحة من صفحات كتابه تقريبا على ان يحيل الى المراجع والمصادر متوجّها على وجه الخصوص إلى « المؤرخين » وإلى الباحثين الناشئين مستنهضا الهمم للقيام بدراسات جامعية هي فراغ ينبغي المبادرة بسده ، وقد افردنا لذلك ذيلًا يلي هذا .

ولئن ورد الكتاب مبتورا تنقصه فهارس الاسماء وفهارس المصطلحات (وهو نقص ينبغي تلافيه في طبعة قادمة) فهو خير تمهيد ، كما اردف مؤلفه عنوانه ، لدراسة الدين الإسلامي وجدير إذن بأن يكون للطالب المتطلع غنية ، وللباحث المتريّد بغنية .

ذيل به قائمة دراسات تترقب همم الباحثين

(1) خلافة الصحابة والخلافات في عهدهم : (11 - 60/62 - 680) .

1 - ص 6 - أبو ذرّ الغفاري أوحى بأدب جمّ عن « الاشتراكية في الاسلام »
يكون من المفيد احصاؤه وتحليله . فسياسة الفتوحات نمّت عند
جمع من المسلمين التكالب على الدنيا والتهافت على خيراتها
مما اثار خصومة بين صحابييّين جليلين عبد الرحمان بن عوف
أحد المبشرين بالجنة ومن الذين اثروا من جراء الفتوحات وابي
ذرّ الغفاري المترهد .

2 - ص 12 - التحكيم في صفين : لم يقل القول الفصل في الظروف التي
اكتنفت التحكيم بين علي ومعاوية ولا في مكان المداولات ولا
في عددها ولا حتى في تاريخها .

3 - ص 14 - الخوارج والارهاب : الا يكون من المفيد التساؤل عن اصل
ثورة الخوارج ؟ الم تكن في الحقيقة انشقاق فئة من المؤمنين
عن بقيّة الامّة رغبة صادقة منها في ان تعيش حسبما امر به
الله ولم تكن قط خروجاً بالسيف على علي ! فيكون بذلك
الارهاب نتيجة لواقعة النهروان لا سبباً لها ؟

4 - ص 15 - عبد الله بن سبأ : مؤسس اول فرقة شيعية غالية : لم يحدّد
دوره على وجه التدقيق .

5 - ص 19 - 22 شخصية معاوية : استجلاء الحقيقة من مواقف الشيعة واهل
السنة منه .

(2) استفحال الخلاف في عهد الامويين (60 - 680/132 - 750) .

1 - ص 25 - مأساة كربلاء : تحديد مسؤولية الجريمة وتعيين مقترفيها
من خلال جدال الشيعة واهل السنة .

2 — ص 29 — 30 : محمد بن الحنفية ونشأة فرقة المرجئة وتحديد علاقته بالمختار زعيم ثورة الموالي من الشيعة ، بعد مأساة كربلاء وتحديد ما نتج عن ذلك من نشأة الكيسانية .

3 — ص 35 — الزيدية : تحديد علاقتها مع الإمامية والغلاة مع الإشارة إلى انقسام الشيعة وعجزها عن الانفراد بالحكم والسلطان .

4 — ص 36 — 38 اختلافات الخوارج .

ثورة شبيب وتحديد ظروفها .

أولى الثورات بالمغرب العربي وضبط تواريخها . عقيدة الخوارج الجديدة بتحليل مركز .

5 — ص 48 — 52 القدرية : معبد الجهني وغيلان الدمشقي في حاجة إلى مزيد تحديد .

المعتزلة : من الثابت ان واصل بن عطاء (م 750/133) مؤسس المعتزلة كوّن له عصبية من الدّعاة انتشرت في جميع العالم الاسلامي وعلى الخصوص بالمغرب العربي . تحديد دور هذه الدّعوة .

(3) تمكّن الخلافة العبّاسيّة ومذهب اهل السنّة والجماعة في اوائل عهده :
(132 — 750/198 — 813) .

1 — ص 71 — الخوارج : الاباضية في عهد المنصور العبّاسي وتأسيسها دولة بافريقية ، والصفوية ودولتها بسجلماسة بجنوب المغرب الأقصى .

- 2 - ص 75 - مناهضة الزنادقة في عهد العباسيين : تحديد مفهومها في أنّها تصادم مع الشريعة : تحديد التواريخ التي اتخذت فيها اجراءات ضدّ الزنادقة .
- 3 - ص 75 - تأسيس امارة الادارسة الزيدية بالمغرب الاقصى : تحديد ظروف دعوة ادريس بن عبد الله وتاريخها : فهي ، على عكس ما يظنّ ، سبقت تأسيس الامارة سنة 169 هـ . وابتدأت منذ 145 هـ . مع ثورة محمد النفس الزكية .
- 5 - ص 84 - اهل السنة والجماعة : لئن كان اهل السنة والجماعة مخالفين لاهل البدع ولئن كان مذهبهم قبولا للقرآن والسنة والاجماع فهو لم يخل من خلاف لا محالة فهناك مدرسة الحديث ومدرسة الرأي ولا بدّ لمعرفة عقيدة اهل السنّة على وجه التدقيق ان يتوجه الباحثون إلى دراسة التاريخ الديني للراشدين والامويين .
- 6 - ص 87 - عبد الله بن مبارك (م. 797/181) من اشهر فقهاء خراسان كان عدو مدرسة الرأى الحنفية : كان محدثا وصوفيا ومنافحا عن الاسلام والخلافة وكان له جليل التأثير على احمد بن حنبل . جدير بان يكون موضوع دراسة جامعية .
- 7 - ص 91 - الشافعي : رسالته في اصول الفقه جديرة بالدرّس : فهي تحدّد بوضوح دور القرآن والسنة والاجماع والقياس ويدلّ مبنى هذه الرسالة واسلوبها على تأصل سنّة فقهية يكون من المفيد تحديد اصولها الغامضة وتطوّرها .
- كِتَابُ الْأُمِّ : كتاب فقه للشافعي جدير بعناية الباحثين ، يرمي فيه صاحبه ، من جملة ما يرمي اليه ، الى الحدّ من جبروت الرعاة والسلطان .

(4) الخلافة المعتزلية وردّ الفعل السنّي : (138 – 813/247 – 861) .

1 – ص 101 – تحديد مراحل المعتزلة ، ممّا جعلها تصبح اهمّ مدرسة اصولية و فرقة دينية في عهد المأمون وان كان للهميلية عن طريق الترجمة دور خطير في نشأة الاعتزال كما ان دور الموالي الاعاجم لا يقل خطورة اذ ان اكثر الاصوليين كان من بينهم وقد خدموا العروبة والاسلام اجلّ خدمة كأبي الهذيل والنظام .

2 – ص 108 – تاريخ المحنة في عهد المعتزلة ما زال مجهولا في داخل العراق اكثر منه في بغداد .

(5) أزمة الخلافة : (247 – 861/334 – 945) .

1 – ص 123 – كتاب السنن لابن داود السجستاني (م. 275/889) جدير بعناية الباحثين وقد كان الغزالي يعتبره كافيا لمن اراد من اهل الاجتهاد معرفة الحديث .

2 – ص 131 – ابو منصور الماتردى (م. 334/945) من سمرقند : كان حنفيّا كتابه : كتاب التوحيد جدير بالدراسة . كان من بيسن مناهضي الاشعرية .

3 – ص 140 – الاسماعيلية : القرامطة والفاطميون : تحديد ظروف نشأة هاتين الفرقتين المتنافستين في خلافة المعتمد وفي السنوات الاخيرة من ثورة الزنج .

ص 145 – لا شكّ انه تبّع مجهود القرامطة والفاطميين العسكري والسياسي مجهود عقائدي لا يزال مجهولا .

ص 146 — القاضي النعمان (م. 974/363) : تحديد المراحل التي مرّ بها المجهود العقائدي عند الاسماعيلية ممّا مهّد لآثار القاضي النعمان ان تكون على هذه الدّرجة من الاصالّة والتمحيص .

4 — ص 147 — الإمامية : فرقة النصيرية بالشام قالت بالحلّول والغلو .
جديرة بالدّرس .

ص 148 — ادب الامامية العقائدي جدير بالدرس ، بالاعتماد على الفضل بن شاذان (م. 874/280) واليعقوبي (م. 894/284) .

6 تغلب الشيعة واول عهد رجوع النفوذ للسنة : (334—945/455—1063) .

1 — ص 177 — مدرسة ابي الحسن الاشعري وتغلّبها في عهد البويهيين :
تحديد ظروف نشأتها : لا نعلم بالضبط دور تلميذين للاشعري أبي عبد الله بن مجاهد البصري وابي الحسن الباهلي وهو استاذ الباقلاني وابن فورك وابني الاسفراني ، وهم من ابرز الاشاعرة .

ثم ان الاشعرية نشأت في تآخ مع الصوفية : فبنّادار (م. 964/353) وهو من تلاميذ الاشعري تمذهب بمذهب الصوفي الشبلي ببغداد (وكذلك شان ابن خفيف الشيرازي (م. 982/371) فلقد كان خيلاً للحلاج .

2 — ص 180 — ابن حزم (م. 1065/456) : المحلّسى ، مصنّف في الفقه ، جليل القدر ، جدير بعناية خاصّة .

3 — ص 182 — الشيخ المفيد (م. 1023/413) صاحب كتاب الارشاد (حيث يروي تاريخ الايمة الاثني عشر) وكتاب المقالات (حيث يدرس عقيدة الامامية) : جدير بالدّرس .

4 — ص 184 — القاضي عبد الجبار (م. 1025/415) كان من المع المعتزلة في عهد البويهيين : اتصل بابن عباد والتف ، بطلب منه ، كتاب المغني ، وهو كتاب في حاجة الى مزيد من الدرس .

(7) رجوع النفوذ لاهل السنة : (455 — 1063/575 — 1180) .

1 — ص 201 — تزهّد الغزالي وتركه للتعليم مدة ، لئن فسّره الغزالي نفسه بازمة نفسية لا نشك في صدقها ، فهو ايضا خوف من التورط السياسي عند تغلب بركياروق سنة 1095/488 على الوزير نظام الملك ، صديق الغزالي .

كذلك تأثير الغزالي فيمن بعده لم يحظ بالعناية الكافية .

2 — ص 214 — تحديد ظروف نشأة دولة المرابطين بالمغرب العربي : تحديد حركة عبد الله بن ياسين الصنهاجي واغراض دعوته الى مالكية ضيقة الحدود ، لا ترى حرجا في تأخ مع الصوفية .

(8) القرن الأخير للخلافة : (575 — 1180/656 — 1258) .

1 — ص 227 — لقد رافق القرن الاخير للخلافة عهد الايوبيين وسياسة هؤلاء الدينية جديرة بمزيد العناية من قبل الباحثين .

2 — ص 230 — سهروردي حلب (م. 1191/587) : ترجمته وظروف قتله بامر من صلاح الدين الايوبي في حاجة الى توضيح .

3 — ص 234 — ابن العديم (م. 1262/660) حنفي : كتابه : البغية ما زال مخطوطا ينبغي اظهاره للناس .

4 - ص 247 - آثار الشيخ محيي الدين بن عربي (م. 1240/638) وعلى الخصوص « فصوص الحکم » و « الفتوحات المکیّة » في حاجة الى مزيد الدّراسة والتحليل .

(9) عهد المماليك واهل السنّة : (656 - 1258/923 - 1517) .

- 1 - ص 254 - علائق بيبرس بالفقهاء ورجال الدّین وسياسته الدّینیّة .
- 2 - ص 269 - الردّ على المنطقيين : كتاب لابن تیمیّة طبع بحيدر آباد ردّ فيه مؤلفه على منطق ارسطو وعقيدة المهدي بن تومرت : ينبغي العناية به عناية خاصّة في نطاق دراسة شاملة لعلم الكلام في الاسلام .
- 3 - ص 276 - الاشعرية والماتردية لعبتا الى جانب الحنبليّة الجديدة التي تزعمها احمد بن تیمیّة دورا خطيرا في عهد المماليك واول ظهور العثمانيين .
- دراسة علم الكلام في هذه الفترة ، باعتبار تطوّره التاريخي .
- 4 - ص 278 - ابن خلدون : اصولي متكلم اشعري : له رسالتان في المنطق وعلم الكلام : دراسة عن ابن خلدون الاصولي المتكلم .
- 5 - ص 283 - الصوفيّة وتطوّرها في عهد المماليك جديرة بعناية الباحث اذ في عصرهم عرفت عصرها الذهبيّ (ابن عربيّ وسيطرة مدرسته الاتحادية) .

(10) عهد العثمانيين : الشيعة وأهل السنة (923 - 1517/1160 - 1747) .

- 1 - ص 300 - نصير الدين الطوسي (م. 1242/672) من آخر المنافحين عن الامامية : خلف آثارا في حاجة الى تحليل .

2 — ص 311 — مذهب السنة مدّة العهد العثماني أي منذ فتح مصر الى ظهور الحركة الوهابية في حاجة الى دراسة مستفيضة : ينبغي ، ليعرف مدى تطوّره ، ان تستغلّ بصفة منهجيّة جميع التراجم ومصنفات المراجع التي وضعها اهل السنة للفقهاء وللصوفية وللأصوليين المنتمين الى مذهب معيّن او فرقة معيّنة .

كذلك فان سياسة العثمانيين الديّنية لم تستوف حظها من الدّرس وعلى الخصوص علائق السّلطان بالطرق الصوفيّة . وكذلك تمكّن مدرسة ابي حنيفة منذ فتح مصر والشام .

3 — ص 314 — الشيخ عبد الغني النابلسي (م. 1713/1143) : حنفيّ ينتمي الى طريقتي القادريّة والنقشبندية : الى جانب كتبه في التفسير والحديث والكلام والفقه . له آثار جليّة القدر في التصوّف .

(11) العصر الحديث : (ابتداء من 1747/1160) .

1 — ص 329 — في نطاق الوهابيّة تحديد علائق عبد العزيز بن سعود بمنظمة الاخوان وهم البدو الذين مكّنتهم الملك عبد العزيز من الاستقرار بمراكز فلاحية ابتداء من 1911 م .

2 — ص 351 — عقيدة المهدي (م. 1885) بالسودان وحركته الموجهة ضدّ الاستعمار الغربي : تحديد علائقها بالصوفيّة والشيعة والحنبلية الجديدة .

3 — ص 355 — عقيدة السنوسي (م. 1859) وتحليل ما نجم عنها من تراث .

4 — ص 361 — فرقة الاحمدية الهندية : عقيدة مؤسسها مرزا غلام احمد (م. 1908) بالهند في حاجة الى توضيح وعنها تفرعت القاديانية

المناصرة للاحتلال الانجليزي وتراث القاديانية العقائدي في
حاجة الى احصاء وتحليل .

5 — ص 365 — فرقة الباب وفرقة البهائية الشيعيتان : تحديد دورهما .

6 — ص 373 — الشيخ علي عبد الرزاق وكتابه : الاسلام وأصول الحكم وما
اثاره من جسدال حواله .

7 — ص 375 — تاريخ جمعية الاخوان المسلمين بمصر ابتداء من 1928 .